University of Zawia - Rewaq Alhkma Journal (UZRAJ)
Volume 9, Issue 1, (2025), pp. 63-76, ISSN:3079-0581

The Philosophy of Divine Dialogue in the Sacred Religious Text

Lotfi Shatawa

Department of Philosophy and Islamic Studies. Libyan Academy, Gharyan - Libya

***Corresponding author email: lutfishtawa72@gmail.com**

Received:01 /06/2025 / Accepted:15/06/2025 Available online:30/06/2025.*DOI:10.26629/uzraj .2025*.05

ABSTRACT

This research aims to analyze the divine dialogue presented in the Holy Qur'an, specifically the conversations between God Almighty and His creations (the angels, Adam, and Iblis), in order to explore its philosophical and religious dimensions. The study seeks to clarify the scope of divine knowledge in contrast to human free will and to explain the wisdom behind the creation and honoring of humankind. The analytical descriptive approach was adopted, along with a comparative method when referencing similar dialogues in the Bible, to enrich the philosophical and narrative understanding of such texts.

The research concludes that the divine dialogue began with God's declaration to the angels of His intention to create Adam and appoint him as a vicegerent on Earth. The angels responded with a respectful inquiry about the rationale behind creating a being who may spread corruption and shed blood. God replied decisively: "Indeed, I know that which you do not know" (Al-Baqarah, 30), emphasizing divine wisdom and the limitation of created knowledge.

The study then examines the dialogue with Iblis, who arrogantly refused to obey God's command to bow to Adam, claiming superiority due to his fiery origin. His disobedience and pride led to his expulsion from divine mercy, though he was granted time to mislead Adam's descendants.

Lastly, the dialogue with Adam reflects human fallibility and repentance. Adam erred due to Iblis' temptation, but turned back to God in sincere remorse. God accepted his repentance and sent him to Earth to live and multiply.

In conclusion, the divine dialogue illustrates the distinction between God's absolute knowledge and human free will, highlighting Adam's honor through knowledge and responsibility, and Iblis' downfall due to arrogance.

Keywords: Divine dialogue, free will, religious philosophy, angels and Adam.

"Articles published in *Univ Zawia Rewaq Alhkma* J are licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License."

فلسفة الحوار الإلهي في النص الديني المقدس

لطفي شتاوة

قسم الفلسفة والدراسات الإسلامية ، الأكاديمية الليبية، غريان – ليبيا.

البريد الإلكتروني:lutfishtawa72@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/06/01م تاريخ القبول: 2024/06/15م تاريخ النشر: 2025/06/30م

ملخَّص :

يهدف هذا البحث إلى تحليل الحوار الإلهي في القرآن الكريم، وتحديدًا ذاك الذي دار بين الله تعالى وخلقِه (الملائكة، آدم، إبليس)، للكشف عن أبعاده الفلسفية والدينية، وإبراز العلاقة بين المعرفة الإلهية والإرادة الحرة للإنسان، وتبيان الحكمة من خلق الإنسان وتكريمه. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستعانة بالمنهج المقارن عند تناول بعض النصوص في الكتاب المقدس، بهدف توسيع الفهم الفلسفي والديني لهذا النوع من الحوار.

توصّل البحث إلى أن الله بدأ الحوار بإخباره الملائكة بعزمه خلق آدم واستخلافه في الأرض، فجاء رد الملائكة بصيغة استفهامية تستوضح الغاية من خلق من قد يفسد ويسفك الدماء، ليكون الجواب الإلهي الحاسم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة، 30). ويُظهر هذا الحوار قمة الأدب من جانب الملائكة، والخضوع الكامل لإرادة الله، رغم رمزية مشاركتهم في الحوار.

ثم ينتقل البحث إلى حوار إبليس، الذي تمرد على أمر السجود لآدم بدافع الغرور والحسد، فطُرد من رحمة الله، وأُمهل لإغواء بني آدم. أما الحوار مع آدم، فيُبرز تعليم الله له الأسماء، ووقوعه في المعصية نتيجة وسوسة إبليس، ثم توبته وقبول الله لها، مما يبيّن الفرق بين خطأ ناتج عن ضعف بشري، وتمرد ناتج عن كبرياء.

ويخلص البحث إلى أن الحوار الإلهي يُظهر تمايز المقامات بين البشر، الملائكة، وإبليس، وفقًا لطبيعة الموقف من الأمر الإلهي، والمعرفة، والطاعة.

كلمات مفتاحية: الحوار الإلهي، الإرادة الحرة، الفلسفة الدينية، الملائكة وآدم.

مقدمة:

قبل أن يكون على السماء والأرض حياة كان الله، وقبل خلق من وُكلَ بعمارة الأرض واستخلافها كان السؤال، لكنه ليس كالأسئلة التي عهدناها، إذ في العادة يُقابل السؤال بإجابة تحتويه من كل جوانبه، وكثيراً ما يكون السائل جاهلاً للجواب، ومتعطشاً ومريداً للمعرفة الحقة، التي تشفي غليل تساؤله، إلا أنه اختلف المقام هاهنا، فاختلف بالتالي معه السؤال أيضاً!.

فالسؤال هنا خرج عما هو مألوفٌ لدينا، خرج عن الصورة الطبيعية للسائل والمجيب، فكان السؤال من لدّن الإله وعلى المخلوق (الملائكة) الإجابة، والتي هي في علم الخالق مسبقاً، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فكانت إجابة الملائكة الرد بسؤال آخر، يقول الله تعالى:﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.(البقرة، 30).

هنا لم تكن الإجابة كافية على السؤال المطروح ربما للعجز المعرفي الذي ينتاب الملائكة وحدوده التي قيدها الله تعالى به، ليبقى المجال مفتوح، والإجابة مطلوبة، هذا من جهة. ومن جهةٍ أخرى فإني على يقين من أن صاحب السؤال (الله جلّ شأنه) يعلم الإجابة سلفاً، وأن سؤاله ليس ابتغاء المعرفة أو للاستشارة وطلب المعونة(تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا) وإنما لحكمة يعلمها هو وحده وحجبها عنا وعن ملائكته، ولا يمكننا نحن الوصول إلى كنهها لقصور الفكر أو العقل الإنساني عن إدراك ما يعقله ويُفكر فيه العقل الإلهي الكبير، فالمخلوق لم ولن يرقى إلى مستوى خالقهِ.

ولا شك في أن هذا الموضوع الذي نحن بصدده من الموضوعات الشائكة، التي دار حولها خلاف كبير وكثير بين جميع الفئات (فلاسفة– ومتكلمين– ومتدينين)، وكان لكلٍ منهم مفهومهُ الخاص للحوار وتجلياته، جاعلاً لنفسه إطاراً لا يمكن أن يخرج منه وعنه، مقدماً لنا صورة مطبوعة تماماً لمذهبه أو دينه أو فكره الذي تحكم في مقالته وكلامه دون أن يُصرح هو بذلك. ظناً منه أنه وصل القاع ورجع إلى السطح بما هو مقنع ومفيد.

وفي هذا البحث سأعمل على تقديم قراءة تحليلية للحوار الإلهي الذي دار بين الله سبحانه وتعالى وبين ملائكته و الفلسفة من ورائه، يكون فيها النص الديني حاضراً وبقوة، لبيان بعض الشواهد والأدلة على أن هذا الحوار هو ليس بحوار عادي كتحاور بعضنا بعضاً، إنه حوار خارج الأرض، وهو الحوار الأول على الإطلاق، والدرس النظري الأول لبني آدم، لذلك كان لزاماً أن يُسطر هذا الحوار في الكتب الدينية المقدسة (التوراة– والإنجيل– والقرآن)، لنتعلم منه أصول الجدل والكلام، وبيان الحجة والبرهان، بدءً من آدم عليه السلام حتى آخر إنسان.

مشكلة البحث:

تتمثل إشكالية البحث ها هنا في السؤال التالي:

– هل باستطاعتنا تفسير هذه الحوارات واعتبارها أداة فلسفية دينية يمكن عن طريقها اكتشاف حدود المعرفة الإلهية مقابل الإرادة الإنسانية ؟.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث في إبراز الجوانب الفلسفية والتأملية للحوار بين الله وملائكته من جهة، وبين الله وإبليس وآدم من جهة أخرى، وإيضاح الهدف والغاية من خلق هذا الإنسان، وبيان وفهم العلاقة بين الخالق ومخلوقاته، وكيف حظى الإنسان المخلوق والمتمثل في سيدنا آدم بالرفعة والتكريم عن سائر خلق الله تعالى.

المنهج المتبع في البحث:

في هذا البحث سأعتمد على المنهج التحليلي باستخدامه كأداة مهمة في فحص وبيان النصوص أو الآيات القرآنية ذات الصلة بحوار الله مع ملائكته، وحواره مع إبليس، وأخيراً مع سيدنا آدم عليه السلام.

هذا وسيتمحور نقاشنا في هذا البحث حول ثلاثة نقاط رئيسية كالتالي:

أولاً:. الحوار بين الله تعالى وملائكته.

في هذا المطلب سأعمل على تشخيص مشهد الحوار بين الله تعالى وملائكته من جوانبه المتعددة، لنُقرب الفكرة للقارئ فيغوص بخياله وفكره في متن ذلك العالم الميتافيزيقي البعيد، جاعلاً منه عالماً فيزيقياً قريباً، وإن كانت أحوال ذاك العالم البعيد ومن يسكنهُ ويعيش فيه، تختلف عن أحوال عالمنا القريب هذا ومن يعيش فيه.

فلاشك في البدء وقبل كل شيء كان الله تعالى موجوداً وحده ولا شيء معه، ثم شاءت إرادته خلق الكون فتم لهُ ذلك وفق نظام مُحكم وموزون، واقتضت حكمته أن يخلق خلقاً آخر من صنيعهِ هو، فكان مما خلق الملائكة، خصهم بالعديد من الصفات والكرامات، وأبدع سبحانه وتعالى في خلقهم، يقول تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾(فاطر،1)، وأوكل لهم مهمات خاصة لكلٍ منهم بحيث لا يتعدى بعضهم على بعض.

وتتفق الديانات السماوية جميعها أنه قبل خلق السموات والأرض، وقبل خلق الملائكة، وحتى قبل خلق آدم وزوجه، بل وقبل أن يُخلق أي شيء (كان الله موجوداً)، ولم يكن شيئاً قبله، وهذا ما أكده النص القرآني في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ (الإنسان،1)، واتفقت الأديان السماوية على أن الله تعالى قد خلق هذا العالم في ستة أيام، وكان ممن خلق أيضاً ملائكةً في سماء هذا العالم، ففي الكتاب المقدس، وتحديداً في سفر التكوين جاء خلق الملائكة في اليوم الأول من الأيام الستة، " وقال الله ليكن نورٌ فكان نورٌ" (التكوين،3)، فيما جاء خلق الملائكة في القرآن الكريم

قبل خلق الإنسان، والدليل على ذلك قول الله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة،30)، وأودع فيهم صفاتٍ خاصة بهم من حيثُ الخِلقة، شغلهم الشاغل هو التسبيح بأنواعه ليل نهار، دون كللٍ ولا ملل، وتلك هي الغاية التي خلقهم الله من أجلها، وأن يُحافظ الملائكة على الناموس الذي خُلقوا من أجله (عبادة الله والتسبيح له دائماً وأبدًا) فيكونوا على العهد الذي من أجله خُلقوا لينالوا الوعد الذي وعدهم به الخالق ألا وهو العيش في الجنة خالدين فيها أبدا.

في هذا المطلب سنفرد الحديث عن الحوار الإلهي المقدس الذي دار بين الخالق والمخلوق، ولكن أيُ مخلوق ؟ إنهم الملائكة الأبرار، وسأحاول جاهداً معرفة كُنه ذلك الحوار والغرض منهُ، حتى يتبين لنا جانباً من مقصده فنظهر الغامض ونكشف حقيقته.

فالملائكة كما نعلم خلقهم الله تعالى مجبولين على طاعته، وتنفيذ كل أوامره، خُلقوا عارفين بعظمته وجلاله، لا يسأمون ولا يستنكفون عن عبادته، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ .(فصلت، 38).

ولما كان التفكير خاصة اختص بها الإنسان دون غيره من المخلوقات، فإن ذلك يُحتم علينا التفكر في ماهية الحوار الإلهي الذي دار بين الخالق سبحانه وتعالى وبين ملائكته الأبرار، بقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة،30)، مع محاولة تشخيص ردّ الملائكة وإجابتهم على السؤال الإلهي في صورة حوار شيق بينهُ لنا القرآن الكريم في سورة البقرة، ويدور فيه الحوار عن خلق الإنسان (آدم عليه السلام).

يبدأ الحوار الإلهي مع الملائكة عندما أعلن الله عز وجل عن نيته في خلق سيدنا آدم كخليفة له في الأرض، وفي هذا السياق يقول الله للملائكة: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (البقرة، 30) فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته ، كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه ، فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض والتنقيص لبني آدم والحسد لهم كما قد يتوهمه بعض جهلة المفسرين، " لكن الملائكة كان عندهم علمٌ سابق بأن هذا الجنس لن يكون كلهُ مخلصاً لله ولا قائماً بحق العبودية والتسبيح والتقديس لهُ سبحانه".(أيوب،2007: 11).

وهنا يظهر دور الملائكة كمستشارين على رأي أنيس فريحة (1992: 74 – 75) بقوله: ليعلمنا الله، تبارك اسمه، فضيلة التواضع استشار أولاً الملائكة وعلى رأسها ميكائيل، في خلقه الإنسان. ولكن الملائكة رفضوا على أساس أنهم خلقوا من نار وآدم من تراب، والنار أشرف من التراب، فكان ذلك تعبيراً عن قلقهم بشأن قدرة البشر على الفساد وسفك الدماء، إن هذا الحوار ليس مجرد إعلان من الله، بل هو دعوة للملائكة لإبداء رأيهم، وتسأل الملائكة الله تعالى:﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ (

البقرة،30)، بمعنى أتجعل في هذه الأرض من يقوم فيها بعملية الإفساد والتخريب والقتل، في الوقت الذي نعبدك وننزهك، متسائلين عن الحكمة في خلق هذا المخلوق؟.

" علموا ذلك من اللوح المحفوظ، أو بإخبار الله لهم، أو بما رأوا من الساكنين في الأرض قبل آدم. سواء أكانوا جناً أم مخلوقين آخرين".(أيوب،2007: 11).

هذا ولم يكن سؤال الملائكة هنا اعتراضاً على مقالة الله تعالى، وإنما كان ردهم من قبيل الاستفهام والتأمل في خلق الله سبحانه وتعالى، والدليل على ذلك قولهم: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾(البقرة،32)، وهو بمثابة تسليم تام وكامل لأمر الله وحكمته من قبلُ ومن بعدّ.

إن هذا الحوار يعكس مفهوم الشورى والتشاور كقيمة أساسية في الإسلام، حيث يُظهر الله أنه يستمع إلى وجهات نظر ملائكته قبل اتخاذ القرار النهائي، وإن كان بطبيعته سبحانه وتعالى أعلم بما ستجيبهُ بهِ ملائكته، وأن علمه وسع كل شيء.

والسؤال الذي يجب أن يطرح ها هنا هو من أين للملائكة الاعتقاد بأن هذا المخلوق سيُعرض عن الخير والاصلاح، وسيعمدّ للشر والفساد وسفك الدماء.

إن الاجابة على هذا السؤال الكبير تحتاج منا النظر الدقيق والتأمل بتأنٍ في أحداث قصة آدم عليه السلام منذُ أن خلقه الله تعالى إلى أن جاءهُ الأمر الإلهي بالهبوط إلى الأرض وبقائه فيها حتى توفاه الله.

والجدير بالذكر هنا أن هذا السؤال تجاذبه الناس على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم وأفكارهم، فمنهم من كانت إجابته مبنية على الرأي الفلسفي، ومنهم من جعلَ المسح الأركيولوجي عمدته في الإجابة على ذلك السؤال، فيما اتكأ آخرون على الكشوف الفيزيائية، ومعظم الدراسات والأجوبة كانت تعتمد على النص المقدس دراسةً وتفكيكاً، سواءٌ كان النص التوراتي أو الإنجيلي أو النص القرآني، ووضعوا لذلك مقاربات ومقارنات لأحداث القصة منذُ بدايتها إلى نهايتها وصولاً إلى إجابة شافية وكافية لسؤال طرحهُ المخلوق على الخالق، بأن آدم الإنسان قد خُلق في الجنة وأنه لن يدوم بقاؤه فيها، وسيهبط إلى عالمه الجديد (الأرض) مُكلَفاً بمسألة حمل الأمانة واستعمار الأرض والسكن فيها.

لقد أدركت الملائكة أن هذا المخلوق سيفسد في الأرض ويسفك فيها الدماء، فيما هم يقابلون ذلك بالتسبيح الدائم لله تعالى، وهي الغاية التي من أجلها خلقهم الله، فقد قيل أنهم اطلعوا عليه من اللوح المحفوظ، وقال بعضهم: " إنما قالت الملائكة :﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾، لأن الله أذن لهم في السؤال عن ذلك، بعد ما أخبرهم أن ذلك كائن من بني آدم، فسألته الملائكة فقالت على التعجب منها: وكيف يعصونك يارب وأنت خالقهم!؟ فأجابهم:﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (ابن كثير،2000: 111).

إن عجز الملائكة في الوقت نفسه على معرفة الأسماء، واعترافهم بمحدودية علمهم مقارنةً بعلم آدم وتسليمهم لهُ بذلك، هو بالنسبة لنا نحن معشر البشر بمثابة تكريم كبير من الله الكريم إذ فضلنا على ملائكته فيما يخص المعرفة (الجوزية، 1414هـ).

وهنا أمر الله تعالى ملائكته بالسجود لمّا خلق (آدم)، بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة،34)، ولقد وردت بشأن هذه الآية أراء عدة تعددت بتعدد المفسرين لها، فهناك من يرى أن الأمر بالسجود كان معني به جميع الملائكة، ومنهم من رأى أنهم الملائكة الذين كانوا في الأرض وهذا ما نسبه ابن الجوزي إلى ابن عباس رضي الله عنهما. (ابن الجوزي، 1422: 54/1).

والحق فإننا نميل إلى القول بالرأي الأول، باعتبار أن الأمر الإلهي الخاص بالسجود كان معني بكل الملائكة لا بجزءٍ منهم، ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.(الحجر،30)، فالسجود جاء هنا شاملاً كل الملائكة، ولم يستثن الله تعالى من ملائكته أحداً.

إن سجود الملائكة هنا لم يكن سجود عبادة ونسك، على حدّ قول صاحب كتاب (أبي آدم) وإنما كان سجوداً فيه معنى التحية والمودة، وخفضٍ للجناح، وإقراراً بالفضل، (محمد،2015: 60).

إن الفلسفة من وراء السجود الذي أمر به الله تعالى ملائكتهُ لسيدنا آدم عليه السلام، لم يكن سجود تعظيم وعبادة وإنما كان تلبية لأمر الخالق وإقرار لكل أوامره.

فهذا الحوار الذي دار بين الله سبحانه وتعالى وملائكته، كان الباعث منهُ هو حب الاسترشاد والبيان عما جهلوا حكمته وغاب عن درايتهم، فغاية سؤالهم كان هو التسليم لأمر الله والانقياد له والرضا بما قسم من فضل، وما صرف من أمر وقد أمرهم الله بالسجود لآدم تكريمًا له، وإظهارًا لفضله، فانصاع الملائكة إلى الأمر الإلهي طاعةً لهُ، وسجدوا جميعاً إلا إبليس، وكان سجودهم لآدم سجود تشريف وتكريم لا سجود عبادة، "ومن الفوائد التي تُؤخذ من هذه المحاور التي دارت بين الخالق ـ عز وجلّ ـ وبين ملائكته الكرام أنه ـ سبحانه ـ قد أفسح المجال أمام الملائكة لكي يعبروا عن رأيهم أنه ـ سبحانه ـ قد أرشدهم بأسلوب مهذب حكيم إلى ما يجب عليهم الوقوف عندهُ"(طنطاوي، 2019: 78).

يقول أبوبكر الجزائري (د.ت: 121):" ولما أبلس الشيطان، وطرد من الرحمة الإلهية، وانقطع من الخير كلية، كانت ذريته مثله بحكم الوراثة، لا خير فيهم أصلاً، فلا يعرفون إلا الشر، ولا يدعون إلا إليه. والمثل القريب لذلك أن الحية لا تلد إلا حية، فلم يطرأ ولن يطرأ على نسلها– منذُ أن كانت – تغيير بحيث تلد أولاداً، لا سُم فيهم، ولا خبث معهم". لذلك طرد الشيطان من جنة الخلد؛ بسبب استكباره، لكنه طلب من الله إبقاءهُ حياً إلى يوم البعث، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ (الأعراف، 14– 15).

ثانياً:. الحوار بين الله تعالى وإبليس.

من جانب آخر خلق الله تعالى إبليس، لكن خلق الله تعالى لهُ لم يكن مساوٍ لخلق الملائكة، بمعنى هنالك تفاوت في الخِلقة بينهما، فكان أن خُلقت الملائكة من نور، وخُلق إبليس من نار، فيما كانت مادة خَلق الإنسان هي (الطين) على ما سنرى في مجريات البحث.

وجاء حوار الله سبحانه وتعالى لإبليس اللعين متصلاً مع حوار الملائكة، وكان في سبعة مواضع من القرآن الكريم، في ثنايا سورة البقرة والكهف وطه، والأعراف والحجر والإسراء وسورة ص.

لم يضع الله سبحانه وتعالى أية قيود لإبليس الملاك، ففسح له المجال في عالم الغيب يغدو حيثما شاء، مطيعاً لله شأنه في ذلك شأن الملائكة الآخرين.

كانت علاقة إبليس بالملائكة ليست ككل العلاقات التي تربط الملائكة بعضها ببعض، فإبليس خلقه الله من نارٍ فهو إذن من فصيلة الجن، أما الملائكة فخلقها الله من نورٍ خالص وخصها بخصائص التصقت واتصفت بها إلى يوم البعث، وأخذت صفة متلازمة معها، فقد جعلها الله مخلوقات نورانية تُسبِحُ لهُ ليل نهار، لا تمل ولا تكلّ، وهي أرفع شأناً من أمة الجن التي ينتمي إليها إبليس.

لكن هناك من يرى أن " مقام إبليس مثل مقام الملائكة بل يفوقها. ويقولون : إن إبليس كان – قبل وقوعه في العصيان وتمرده – من جنس الملائكة، ومن سكان الأرض، ويفوق الملائكة جميعاً في المعرفة والاجتهاد، وهذا سبب تعاليه وتكبره".(حجي،1993: 18).

ولعلَ الدليل على أن إبليس كان من الملائكة وواحداً، منهم ما استند عليه بعض المفسرين من أمثال قتادة وابن عباس وغيرهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (البقرة، 34).

ويفهم من هذا أن إبليس لو لم يكن من جنس الملائكة لما شمله الخطاب الإلهي بخصوص الأمر بالسجود لآدم عليه السلام.

وربما قال بعضهم بأن :" سجود الملائكة لآدم كان كما يُسجدّ إلى الكعبة – وهو قول الجبائي– " (حجي،91)، والصحيح أن سجود الملائكة لآدم يدل على تفضيله عليهم، فهو بهذا سجود تفضيل لا سجود عبادة، وأن سجود العبادة لا يجوز أن يُفعلّ إلا لله تعالى، وليس لمخلوقاته.

فيما يذهب آخرون بأن إبليس ليس من الملائكة ، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾(الكهف، 50)، فبين الله تعالى لنا في هذه الآية أن إبليس من الجن وليس من الملائكة، كما بين لنا أن له ذرية من صلبه في حين أن الملائكة ليس لهم ذرية.

وفي خطاب إبليس لله تعالى بيان على أنه ليس من الملائكة وهو ما نلحظه من قوله تعالى على لسان إبليس حين علل عدم سجوده لآدم قائلاً: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (سورة ص، 67).

إذاً فالنار هي مادة الخلق للجن، بينما الملائكة خلقهم من نور، وبتكبر إبليس وتعاظمه وحسده لآدم عليه السلام، نال اللعنة والطرد من رحمة الله، فيما بقى آدم وزوجه حواء في الجنة يأكلان من خيرها باستثناء شجرة واحدة كان قد نهاهما الله تعالى من الأكل منها، إلا أن الشيطان لم يهنأ له بال حتى أوقعهما في المعصية، فخالف آدم وزوجه الأمر الإلهي وسقطا في الخطيئة، بفعل وسوسة الشيطان لهما

وإغرائه لهما بالملك والخلود، وهو ما سنقدم له بالتحليل في المطلب الثالث من هذا البحث عند حديثنا عن الحوار الدائر بين الله وآدم.

وعوداً على بدء نقول إن الحوار بين الله وإبليس يمثل نقطة تحول هامة في السرد القرآني، فعندما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم إكراماً لهُ وإظهاراً لفضله، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة،34)، هنا لبى الملائكة الكرام الأمر الإلهي أجمعين، دون السؤال لماذا السجود؟ وفي المقابل رفض إبليس السجود لآدم، وجادل ربه في ذلك، وتحجج بأن خلقهُ من النار يجعله أفضل من آدم بكثير الذي خُلق من الطين، ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف، 12).

فلم يكن ابليس ممتثلاً للأمر الإلهي الجليل، فامتنع عن السجود، وكان منطلق الامتناع هو التكبر من جانب، والحسد من جانب آخر، فانتقل من مَلكٍ مطيع يأتمر بأوامر الله وينتهي بنواهيه، إلى جاحدٍ أليم، فصُنِفَ من العاصين. هذا الجدل يعكس تمرد إبليس على السلطة الإلهية ويُظهر كيف يمكن أن يؤدي الكبرياء إلى العصيان.

ولعلّ في سورة (ص) بيان صريح وواضح لحوار الإله مع إبليس، يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ. قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ. قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ. قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ . لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة ص، 71–85).

إذن وبحسب هذه الآيات العظيمة والإخبار القرآني بجميع حالات الآية وتعدد وجودها، فإنه يمكن القول من أنه تمرد وعصيان على الملك الديان، هذا التمرد هو في الحقيقة أخطر من التمرد الذي يحدث على هذه الأرض والذي هو تمرد طبيعي يكون بين طرفين متساويين، وينتميان إلى جنسٍ واحد، ويكون سببه الفطرة الإنسانية والرغبة في السيطرة والتملك على نفس الجنس.

أما ما حدث في عالم الغيب، ووصلتنا أحداثه ومجرياته عن طريق النص القرآني وبعض من نصوص العهد القديم والجديد، وإن كنت اعتمد على ما جاء في النص القرآني أكثر من أي نصوص أخرى، لثبوت صحة الأول وتعهد الله لهُ بالصون والحفظ، وعدم التبديل والتحريف، يقول الله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر،9).

ولسنا هنا في صدد الخوض في إثبات صحة النص القرآني ونصوص العهدين القديم والجديد، بقدر ما نحن نودّ التدليل على أن كل النصوص التي سبقت نزول القرآن مثل(التوراة – الإنجيل) والقرآن الكريم من بعدها أكدت على أن إبليس تمرد على الله وعصاهُ في أمره بالسجود لآدم.

لقد بين لنا لقرآن الكريم قصة إبليس ورفضه السجود لآدم، وأوضح لنا جميع المغالطات التي وقع فيها إبليس وبنى عليها موقفه، فكانت كل استدلالاته فاسدة ولم تخدمه في تبريره لموقفه من السجود، وحمل خطابه مغالطات كبيرة يمكن تبيانها هاهنا كما ساقها لنا القرآن الكريم، فقد اعتقد إبليس أنه أفضل بكثير من آدم عليه السلام، وأنه أشرف منه في الخِلقة، لأنه مخلوقٌ من نار، بينما خُلق آدم من طين، متجاهلاً الأمر الإلهي المباشر بالسجود، ومتغافلاً في الوقت نفسه عن التشريف الإلهي الذي حظيّ به آدم ألا وهو (أن الله تعالى خلقهُ بيده ونفخ الروح فيه)، مما جعله مخلوقاً مكرماً بذاته.

وقد أشار أبوبكر الجزائري (عقيدة المؤمن، 126) إلى المساواة بين الجان والشيطان إبليس، من حيث مادة الخلق، قائلاً: " والجان هو أبو سائر الجن، وهو مخلوق من مادة النار المعروفة، وكان خلقهِ قبل خلق الإنسان، وذلك لقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾"،(الحجر، 26–27)، وعلى هذا إتكأ إبليس متحججاً بأن النار جوهرٌ لطيفٌ شفافٌ له قوة الإشراق وسلطان الإحراق، بعكس الطين الذي هو جسمٌ مظلمٌ كثيفٌ، ليس باللطيف ولا الخفيف.

وهكذا بيّن لنا القرآن الكريم تناقضات ما نطق به إبليس وتحجج، مؤكداً لنا أن طاعة الأمر الإلهي فوق كل حسابات البشر والتي هي محدودة.

إن هذا الحوار يكشف عن طبيعة إبليس كعدو للإنسانية ويُبرز الصراع الأزلي بين الخير والشر، وأن هذا التفاعل الذي رأيناه يُظهر لنا أيضًا كيف يمكن للكائنات أن تعبر عن إرادتها الحرة حتى في مواجهة الإرادة الإلهية، التي أوجدتها.

نخلص مما سبق إلى أن باعث إبليس، هو في حقيقته باعث حسد ونقمة على الشرف العظيم، والتكريم الكبير الذي خص الله به آدم عليه السلام وحدهُ دون غيره من المخلوقات، وأن الغرور بأصل المادة التي خُلق منها إبليس وهي مادة النار هو الذي أوقعه في المحظور، ظناً منهُ أن لها قوة الإشراق على كل شيء وسلطان الإحراق، وهذا الاعتقاد أو الظن لم يكن في الحقيقة سوى نظرةٌ مادية محضة، ومحدودة جداً، وهي أيضاً فاسدة، وبالتالي استحق إبليس الطرد من جنة الله، وتم إبعاده من رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء إلا هو، فلم يكن حواره حوار، وإنما كان جدالاً واعتراضاً على حكمة الله وقضائه وقدره، بالرغم من الفسحة التي أعطاها له الله فيما يخص الحوار والتحاور، إلا أنه لم يحسن الحوار والتأدب مع خالقه كما مرّ بنا عند الحديث عن الحوار بين الله وملائكته، وكيف كان حواراً متأدباً خلا تماماً من الجدال والنقاش العقيم.

ثالثاً:. الحوار بين الله تعالى وآدم عليه السلام.

وشاء الله تعالى أن يخلق خلقاً آخر لكن هذه المرة ليس في عالمه سبحانه وتعالى، إنما في عالم المادة عالمنا المحسوس وأن يكون خليفةً له على هذه الأرض، يعمل على عمارتها ويعبده فيها ومن

خلالها وحده لا يجعل له نداً ولا شريك، وينشر السلام والمحبة فيها، ويكون ذلك عبر اتصال وتواصل بين الخالق والمخلوق بوساطة الأنبياء والرسل المختارين من بني آدم أنفسهم.

وقبل الحديث عن طبيعة المخلوق الأول الذي نحن بصدد الحديث عنه يجب علينا تحديد مفهوم المخلوق الأول والمراد به، فهل هو الإنسان أم أن هنالك مخلوقات سبقته في وطء هذه الأرض؟.

فنقول أن الذي لاشك فيه على الاطلاق أن أصل الإنسان هو (الطين)، وهذا ما تقول به معظم الأساطير البدائية، ناهيك عن قول الحق تبارك وتعالى بأن الخلق البشري بدأ من طين ، وأن نسل سيدنا آدم وسلالته جاء من ماءٍ مهين في قرارٍ مكين، يقول تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾،(المؤمنون، 12– 13).

هذا الإنسان كما يذكر لنا القرآن الكريم أنه قد مرت به فترة طويلة جداً لم يكن شيئاً مذكوراً، ثم ميزه الله تعالى عن سائر خلقه بالعقل والفكر، وشرّفهُ بالعلم والتعليم، بل إن أعظم تكريم حظيّ به الإنسان هو سجود الملائكة لهُ تعظيماً وتفضيلاً، واستخلافه للأرض دون غيره من المخلوقات كان تكريماً من نوعٍ آخر.

ففي الغالب أن الله سبحانه وتعالى خلق هذه الأرض لغاية نحن نعلمها جيداً ألا وهي أن يعيش عليها الإنسان مع باقي مخلوقات الله، وكلفهُ دون غيره بعمارتها وأن يكون خليفتهُ فيها، فهذا المخلوق (الإنسان) جعله الله سيداً لكل المخلوقات، وعلمهُ الأسماء كلها وأمر ملائكتهُ بالسجود لهُ سجود تكريم لا سجود عبادة، ذلك أن سجود العبادة لا يكون إلا لله وحدهُ، وبالفعلّ سجد الملائكة لأدم، يقول الله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (الحجر،28–38).

وبعد خلق آدم، يأتي الحوار بينه وبين الله، فيُظهر لنا هذا الحوار طبيعة العلاقة الوثيقة بين الخالق والمخلوق، وكيف علّمَ الله آدم ما لم يكن يعلم، " إذ علمهُ الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان دابة، وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار، وأشياء ذلك من الأمم وغيرها.". (الطبري، د.ت: 482)، وهذا دليل على أن هذا المخلوق (الإنسان) أوعز فيه الله تعالى مَلكة التفكير والمقدرة على اتخاذ القرارات، وأنه مخلوق مطيع، وهذا كلهُ يعكس لنا قدرة هذا الإنسان على تعلم الأشياء وفهمها.

إن هذا التفاعل يبرز أهمية المعرفة والإرادة الحرة التي يتمتع بها آدم، فالله يُعلم آدم الأسماء كلها، يقول تعالى:﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

(البقرة،31–33)، فكانت المعرفة هي أول الهبات التي وهبها الله لسيدنا آدم، وعندما أُعطي آدم المعرفة أمره الله بتسمية الأشياء، الأمر الذي يعكس لنا قدرة الإنسان على التعلم والفهم، وأنها ميزة ومَكرَمة من الله لهذا المخلوق تميز بها عن سائر الخلق. "وأولى هذه الأقوال بالصواب، وأشبهها بما دل على صحته ظاهر التلاوة، قول من قال في قوله :"وعلم آدم الأسماء كلها"، أنها أسماء ذريته وأسماء الملائكة، دون أسماء سائر أجناس الخلق. وذلك أن الله جل ثناؤه قال: " ثم عرضهم على الملائكة "، يعنى بذلك أعيان المسمين بالأسماء التي علمها آدم". (الطبري،: 485).

ونعود إلى مجريات الحوار بين الله تعالى ونبيه آدم، فبعد اعتراض إبليس عن السجود لآدم – كما مرّ بنا – يأمر الله تعالى آدم وزوجه حواء بالعيش في رحاب جنته، وأطلق لهما العنان في كل ما تمنياه إلا الاقتراب من شجرة كان قد نهاهما من الأكل منها، وما عدا ذلك فهو مباح، يقول تعالى مخاطباً آدم وزجه ومعززاً إياهما: ﴿ وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ . فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(البقرة، 35– 37).

وقد اتفقت الأديان جميعها على أن آدم عليه السلام قد عصى ربهُ هناك في الجنة، ولذلك أُهبط منها ، وها هي التوراة تذكر لنا الحادثة بأن الرب قد أوصى آدم بأن يأكل من جميع شجر الجنة ما عدا شجرة معرفة الخير والشر، وأنذرهُ بالموت إذا أكل منها: " وأخذ الرب آدم ووضعهُ في جنة عدن ليعلمها ويحفظها. وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت" (التكوين: الاصحاح الثاني، 1– 3).

إذاً وقع آدم في الخطيئة أو المعصية إن صح التعبير، والخطيئة هنا في الإسلام " ليست أصلاً كونياً يُعاند الإرادة الإلهية بإرادةٍ مثلها، أو مقاسمة لها في أقطار الوجود العُليا والسفلى، لكنها اختلاسٍ وخللٍ وتقصيرٍ، ولهُ علاجه من عمل العامل نفسه بالتوبة والهداية أو بالتكفير والجزاء، ولما كانت فضيلة آدم على الملائكة والجن أنه تعلم الأسماء التي لم يتعلموها، كانت هدايته إلى التوبة كذلك بكلمات من المعرفة الإلهية ولم تكن بشيء غير عملهِ وقولهِ." (العقاد،2005: 100).

وعلى كل حال فإن الله ومشيئته أرادت لآدم الهبوط من الجنة إلى الأرض، وأنه تعالى قدر لآدم وذريته العيش على هذه الأرض، فأنزل الله السكينة على آدم وزوجه حين أنزلهما إلى الأرض ، وكان قد تاب عليهما من قبل، وأعانهما على المعيش فوق الأرض، وألهمهما استصلاحها وزراعتها، وتكاثر نسلهُ، وبعث فيهم الله تعالى الأنبياء والرسل، يوجهونهم ويحثونهم على اتباع الطريق الصحيح، وأن هذه الدنيا هي دار ممر، وأن الآخرة دار المقر، وأن الإنسان سيحاسب على كل سلوك يقوم به خيراً كان أو شر.

الخاتمة:

أن البحث في موضوع الحوار ألزمني حقيقةً مُدارسة وقراءة القرآن الكريم مراتٍ عديدة، تفحصتُ خلالها آياته الكريمات، خاصةً تلك التي تنص على الحوار، فتبين لي أن موضوع الحوار من المواضيع المهمة، خاصة عندما يكون الحوار أحدّ أطرافه هو الله سبحانه وتعالى، فكان درساً لنا نحن البشر، وذلك حتى يُحيي فينا الله تعالى طبيعة المواجهة، والخروج من الجمود المتحجر إلى فهم الذات وفهم الآخر، وأن يتعلم هذا الإنسان كيف يكون الحوار بواسطة طرح السؤال طريقاً للفكر والعمل والعقيدة.

وتوصلتُ في موضوع الحوار هذا إلى أن الله سبحانه وتعالى كان ولم يزل متسامحاً مع مخلوقاته، والدليل أنه تعالى أفسح المجال أمام مخلوقاته للتعبير عن رأيهم بحرية تامة واختيار كامل، وذلك حتى يكون الجزاء مبني على ما اختارته مخلوقاته إما الثواب وإما العقاب، وهو ما بيناهُ ووقفنا عليه أثناء تثبتنا من خلال النص الديني لحوار الله تعالى مع ملائكته ، ومن بعد ذلك تحاوره مع إبليس، وانتهاءً بالتحاور مع آدم عليه السلام.

وبين هذا وذاك توصلت إلى أن الحوار الإلهي بين الله والملائكة وإبليس وآدم، أظهر لنا عمق العلاقات بين الخالق والمخلوق، فكان حوار الملائكة معه سبحانه وتعالى غاية في الأدب، مستجيبين لكل أوامره المعلومة منها والغيبية، بلا جدالٍ ولا عناد، فيما أظهر لنا أن الحوار مع إبليس كان مختلفاً تماماً، لقد كان حواراً قاسٍ جداً، أظهر فيه إبليس اللعين تمرداً على الأمر الإلهي، انتهى به إلى عصيان الله مجاهرةً، وبطبيعة الحال كان ذلك كله قد تم بإرادة الله وعلمهِ المسبق، ومن ثم مجازاة إبليس بالطرد من رحمة الله، وصفّ مع الكافرين ، وإمهاله إلى يوم البعث المعلوم، بناءً على طلبهِ، يقول تعالى: ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (الأعراف،14–15)، وعصى آدم ربهُ هو الأخر، واستسلم لوسوسة إبليس، فطرده الله من الجنة التي كان يتنعم بها إلى الأرض، وأصبح وزوجهِ عُرضةً للمرض والموت، وأصبحت حياتهما على هذه الأرض كلها شقاءٌ وتعب، والأهم من هذا كله فقدِهما التواصل والحوار المباشر مع الله تعالى، وإن كان سيدنا آدم قد استدرك فلجأ إلى الله واستغفره فتاب إلى الله، فتقبل الله توبته، يقول تعالى:﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة،30)، وحصل على المغفرة من الله تعالى، وأنزله الله إلى الأرض ليخلفه فيها ويستعمرها، وسخر لهُ جميع مخلوقاته حتى يتسنى له القيام بدوره على أكمل وجهٍ ووفقاً لما طُلب منه.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.

2. الكتاب المقدس.

3- الجوزية ،ابن القيم(1414هـ) بدائع التفسير الجامع، جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه- يسري السيد محمد، ج1، دار ابن الجوزي، الرياض.

4- ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل الدمشقي(2000) ، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

5- ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل الدمشقي(1988) ، قصص الأنبياء، تحقيق: د. مصطفى عبدالواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزية، ط3.

6- الجزائري ،أبوبكر(د.ت)، عقيدة المؤمن، منشورات مكتبة العلوم والحكم، السعودية، توزيع دار العقيدة، القاهرة، د.ط .

7- الطبري ،أبي جعفر محمد بن جرير(د.ت) ،جامع البيان عن تأويل القرآن، ، تح: محمود محمد شاكر، ج1، دار المعارف بمصر ، د.ط.

8- محمد ،إسماعيل علي(2015) ، آدم أبو البشر حقيقة لا أسطورة (ردٌ على كتاب أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة)، دار الكلمة للنشر والتوزيع القاهرة، ط 2.

9- فريحة ،أنيس(1992) ، في القصص العبري القديم، نوفل- بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

10- حسن ،أيوب(2007) ، قصص الأنبياء " قصص الصفوة المختارة أنبياء الله ورسله" دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع- مصر.

11- الجوزي ،جمال الدين أبو الفرج(1422هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

12- العقاد ،عباس(2005)، إبليس" بحث في تاريخ الخير والشر وتمييز الإنسان بينهما من مطلع التاريخ إلى اليوم" الطبعة الثالثة، أغسطس ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

13- حجي ،محمد باقر(1993) ، إبليس في القرآن والحديث، دار المجتبى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى .

14- طنطاوي ، محمد سيد(2019) مختارات من أدب الحوار في الإسلام، نهضة مصر للنشر.